هوامش

وجدت دراسة جديدة، أن الحالة الصحية والدعم الاجتماعي للأفراد الذين يمرون بمرحلة الشيخوخة، هما العاملان الرئيسيان المرتبطان بالوحدة في المرحلة العمرية أكبر من 50 عاماً

ترتبط صدمات الطفولة بزيادة الشعور في الوحدة لدى البالغين (أنتوني اوين جونز/Getty)

الشعور بالوحدة
منذ الطفولة حتى سن الشيخوخة

باختصار

يرتبط الشعور بالوحدة، أيضاً، بزيادة مخاطر الإصابة بأمراض عقلية، وتدهور الصحة البدنية، وبارتفاع احتماليات الوفاة

■■■

الشعور بالوحدة في الكبر، أعلى بمقدار 1,21 مرة عندما ينشأ المرء في أسرة فقيرة، مقارنة بأولئك الذين يعيشون في أسرة ميسورة

■■■

كانت الوحدة أكثر شيوعاً لدى الأفراد ذوي الشخصية العصبية، وأقل شيوعاً لدى أولئك الذين سجلوا درجات عالية من حيث السعادة

محمد الحداد

يرتبط مستوى شعور الأفراد بالوحدة، في المراحل العمرية المتقدمة، بعدد من الظروف التي صاحبت المرء في مرحلة الطفولة، بما في ذلك وجود عدد أقل من الأصدقاء والأشقاء في حياته، فضلاً عن انخفاض جودة علاقاته مع الوالدين، وسوء حالته الصحية، ونموه في أسرة فقيرة، بحسب ما أشار باحثون في دراسة جديدة.

وفقا لنتائج الدراسة، التي نشرت يوم 18 مايو/أيار في مجلة PLOS ONE، كان الشعور بالوحدة موضوع اهتمام متزايد لدى الباحثين على مدى العقد الماضي؛ إذ ثبت أنه مرتبط باعتلال الصحة، ويزداد الشعور بالوحدة مع تقدم العمر. يرتبط الشعور بالوحدة، أيضاً، بزيادة مخاطر الإصابة بأمراض عقلية، وتدهور الصحة البدنية، ويرتبط بارتفاع احتماليات الوفاة، وزيادة الاعتماد على أنظمة الرعاية الصحية. كما ترتبط صدمات الطفولة، والشدائد التي تصاحبها، ارتباطاً وثيقاً بضعف حالة الصحة العقلية للبالغين. واقترحت بعض الدراسات، أن التعرض لسوء المعاملة كطفل قد يقوض الثقة اللاحقة، بما في ذلك الصحة والخدمات العامة الأخرى.

في الدراسة الجديدة، استخدم الباحثون بيانات من مسح استقصائي شامل حول الصحة والشيخوخة والتقاعد في أوروبا (SHARE). في هذا المسح، جمع الباحثون معلومات حول الصحة والحالة الاجتماعية والاقتصادية والشبكات الاجتماعية والعائلية، من الأفراد الذين تبلغ أعمارهم 50 عاماً فما فوق في جميع أنحاء أوروبا. وجد المؤلفون أنه في حين أن اعتلال الصحة هو العامل الرئيسي المرتبط بالوحدة عند كبار السن، إذ ارتبط بنحو 43,32% من حالات التباين في الشعور بالوحدة لدى العينة التي شملتها الدراسة، فإن الدعم الاجتماعي الذي يتلقاه كبار السن يمثل أيضاً 27,05% من التباين في التأثير. كما مثلت السمات الشخصية 10,42% وظروف الحياة خلال الطفولة 7,50%.

ووفقا للنتائج، كانت احتمالات الشعور بالوحدة، في سن الخمسين وما فوق، أعلى بمقدار 1,24 مرة للأشخاص الذين نادراً ما يكون لديهم أصدقاء مريحون في الطفولة، أو لم يكن لديهم أبدا أصدقاء مريحون، مقارنة بأولئك الذين لديهم أصدقاء في كثير من الأحيان، و1,34 مرة أعلى في أولئك الذين كانت لديهم علاقة سيئة مع والدتهم عندما كانوا أطفالا، بالمقارنة مع أولئك الذين تربطهم علاقة أمومة ممتازة. وأظهر المسح أن الشعور بالوحدة في الكبر، أعلى بمقدار 1,21 مرة عندما ينشأ المرء في أسرة فقيرة، مقارنة بأولئك الذين يعيشون في أسرة ميسورة. وكانت الوحدة أكثر شيوعا لدى الأفراد ذوي الشخصية العصبية، وأقل شيوعا لدى أولئك الذين سجلوا درجات عالية من حيث السعادة والتقبل للأمور، والانفتاح. وقالت المؤلفة الرئيسية للدراسة، أستاذة اقتصاديات الصحة العامة في جامعة ڤيينا، صوفي جوثمولر، إن نتائج هذه الدراسة تؤكد أهمية الشبكات الاجتماعية والدعم النفسي للأفراد في سن الشيخوخة، فضلاً عن دور سمات الشخصية الفردية وظروف النشأة في مرحلة الطفولة. وأضافت جوثمولر، في تصريح لـ«العربي الجديد»، أن التدخلات المبكرة هي المفتاح الأساسي لاستهداف الشعور بالوحدة في وقت لاحق، وأن التدخلات التي تهدف إلى زيادة الدعم الاجتماعي في وقت لاحق من الحياة، تحتاج إلى تكييفها مع جميع أنواع الشخصيات. وفقا للمؤلفة: «وجدت الدراسة -كما كان متوقعا- أن الحالة الصحية والدعم الاجتماعي للأفراد الذين يمرون بمرحلة الشيخوخة، هما العاملان الرئيسيان المرتبطان بالوحدة في المرحلة العمرية أكبر من 50 عاماً. ومن المثير للاهتمام أن الدراسة تكشف أن سمات الشخصية وظروف الحياة، أثناء الطفولة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوحدة في وقت لاحق من الحياة، بعد التحكم في مجموعة كبيرة من ظروف الحياة اللاحقة». وتضيف: «في ضوء الاتجاه نحو زيادة الشعور بالوحدة لدى الأطفال، وتأثير جائحة فيروس كورونا على حياة الأطفال، تؤكد نتائج هذه الدراسة أهمية التدخلات في الحياة المبكرة لمعالجة التأثير طويل المدى على الشعور بالوحدة». وفي دراسة سابقة نشرت في يناير/كانون الثاني من عام 2021، وجد باحثون علاقة بين ضبط النفس في مرحلة الطفولة، وشيخوخة منتصف العمر؛ إذ تبين للباحثين أن الأفراد الذين أظهروا قدرا كبيرا من ضبط النفس في مرحلة الطفولة، يتقدمون في العمر جسديا بشكل أبطأ، وأظهروا علامات أقل لشيخوخة الدماغ. وطبقا للدراسة التي نشرت في مجلة «بروسيدنجس أوف ذا ناشيونال أكاديمي أوف ساينس»؛ فإن الأشخاص الذين يتصفون بمستويات أعلى من ضبط النفس، تكون أدمغتهم أكثر صحة وأصغر سنا من الناحية البيولوجية.

وأخيراً

مطلوب زوجة لطفل

سما حسن

في أحد المستشفيات الحكومية كانت امرأة ثلاثينية، مع طفل في الثالثة من عمره يبدو عليه الهزال والمرض على مقعد خشبي متآكل، تبث شكواها لي وإلى آخرين، فسمعت معهم سريعا قصة حياتها قبل أن ينادي ممرّض شاب باسم طفلها، لكي يعلن عن دوره للفحص المجّاني، فغابت معه، وتركتني مع قصتها المحزنة، حيث تزوّجت شاباً يعاني من تخلّف عقلي، بحيث لا يتجاوز عمره العقلي الفعلي خمس سنوات، وهو من عائلة فقيرة، ومن الطبيعي أن يكون بلا عمل. ولمجرّد أن تهرُب من لقب عانس الذي بدأ يطاردها، ولأنها تتحدر أيضا من عائلة فقيرة لم تستطع أن توفر لها تعليما، وبالتالي لا تجيد أي عمل، وها هي اليوم أصبحت أمّا في الوقت الضائع، حسب قولها، لطفلٍ مصاب بأكثر من إعاقة خلقية. وأصبحت كذلك تقضي أيامها في التنقل ما بين المستشفيات والعيادات المجانية التابعة للمؤسسات الخيرية.

أمعنتُ كثيرا في تفاصيل حكاية زواج هذه المرأة، ووضعت يديّ على فتوى جديدة خرج بها عضو مجمع البحوث الإسلامية في مصر، عبد الله النجار، حيث أشار إلى أن من لا يستطيع الإنفاق على الزوجة ومنحها حقوقها في حياة كريمة، والإنفاق على الأطفال وتربيتهم في بيئة طيبة فلا يتزوج. وفي الحقيقة، ووسط استهجان هذا الرأي وليس الفتوى (إن توخينا الدقة)، فيجب علينا أن نؤيده كل التأييد في ظل ما نراه حولنا من مشكلات أسرية أدت إلى مشكلات اقتصادية، ألقت بظلالها على الضحايا وهم الأطفال. علينا أن نتفكّر كثيرا بحال هذا الطفل البائس الذي التقيتُ أمه. كان يرتدي ملابس ممزّقة، ولا يملك حذاء. جاءت به أمه محمولا على كتفها، فيما أشارت إلى حذائها البالي من مكان بعيد سيرا على قدميها، وكيف أن والدي زوجها (الطفل) ينفقان عليهما من مساعدات أهل الخير، وأنهما قرّرا تزويجه، لأنه رجل، ويجب أن يتزوّج، وحرصا منهما على الحفاظ على نسل العائلة حسب قولها. قالت ذلك في سخرية مريرة، ومشيرة إلى أنها قد وضعت طفلها عن طريق التلقيح الصناعي. أما السبب الثالث الذي ساقته أمامي فهو بحث والدي الزوج عمن يعيل ابنهما ويعنى به في المستقبل، ولم يكونا يعرفان أنه سوف ينجب طفلا مثل هذا الطفل. ولم يفكّرا لحظة كيف سينشأ هذا الطفل مع أبٍ لا يملك مقومات تربية الأطفال، وأم جاهلة بائسة، لا تملك لمواجهة قسوة الحياة سوى دموعها وحذائها البالي.

لم يفكّر والدا الزوج الطفل، كما أطلقت عليه، بالطبع بمصير المجتمع مع أطفال بؤساء مرضى، سيصبحون متسولين على قارعات الطرق، أو سيتوجهون إلى أن يصبحوا عمّالا في سن صغيرة، ونتسبّب بنماذج مكرّرة من الصبي الذي نراه دائما في الدراما العربية، صبي الميكانيكي الذي تسرب من المدرسة وأصبح تحت يد «الأسطى» الذي لا يتوقف عن ضربه وركله، ويتقبل ذلك كله راضيا مقابل قروش قليلة يعود بها لعائلة كثيرة الأفواه.

احتفل العالم، أخيرا، باليوم العالمي لمناهضة عمالة الأطفال، حيث دشّنت منظمة العمل الدولية هذا اليوم في العام 2002، لتركيز الاهتمام على مدى انتشار عمل الأطفال، وبذل الجهود اللازمة للقضاء على هذه الظاهرة المتزايدة مع تدهور الوضع الاقتصادي في العالم، نتيجة تداعيات سياسية ليست خافية، ويمكن الحدّ منها من خلال الأسرة، ومن خلال ضبط قوانين الزواج قبل ذلك، وعمل الحكومات والجهات المسؤولة على تقييد حالات الزواج؛ بحيث توضع شروط صارمة بشأن أهلية الزوجين؛ لأن نتاج أي حالة زواج هو الأطفال الذين يأتون لهذه الحياة كضحايا، ولا يملكون حولا ولا قوّة، ولا يمكن أن يكونوا، مع بؤس حال والديهم وعدم أهليتهم ليصبحوا آباء وأمهات لا عون ولا سند ولا عزوة، ولا حتى أبناء صالحين، يدعون بالرحمة والمغفرة لوالديهم حين ينقطع عملهم بموتهم.

> احتفل العالم، أخيراً، باليوم العالمي لمناهضة عمالة الأطفال، وقد دشّنته منظمة العمل الدولية في العام 2002

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**